

- جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية-
-قسنطينة-

كلية الاداب و الحضارة الاسلامية

قسم : التاريخ.

المقياس: تاريخ الدولة العثمانية.

المستوى : السنة الثانية تاريخ / السنة الثالثة تاريخ وحضارة اسلامية.

الاستاذة : حليلة امقران .

عنوان المحاضرة: فتوحات العثمانيين في أوروبا (البلقان)

المقدمة :

اتخذت أوروبا موقفًا عدائيا من المسلمين منذ عهد الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عندما حشد الروم حشودهم وعبّؤوا حلفاءهم للقضاء على الدولة الإسلامية الناشئة ثم ظهرت الروح الصليبية في أعتى صورها في الحروب الصليبية ، في المشرق التي استمرت نحو قرنين من الزمان، ثم ارتدت على أعقابها مدحورة، والحروب الصليبية في المغرب التي سقطت فيها الأندلس في أيدي الإسبان ولم تكد

أوروبا تظهر فرحتها بسقوط السلاجقة الذين أذاقوها مرارة الهزيمة مرّاتٍ، وأسرّوا أباطرتها، وانتزعوا من الرّوم أعظم ممتلكاتهم في آسيا الصغرى، حتّى ظهر لهم الخطر الإسلامي من جديد؛ ممثلاً في الدولة العثمانية الفتية المجاهدة، فغلبتهم على ما بقي لهم في آسيا، وبقي على العثمانيين أن يعبروا البسفور إلى الشاطئ الأوروبي وقد نظر الأوروبيون إلى الدولة العثمانية على أنّها ممثلة الإسلام وحاملة رأيته، ومن ثمّ تكثرت جهودهم لوقف مدّها، ثم إضعافها والإجهاد عليها، كما جنّدوا أقلام مفكريهم ومؤرّخينهم لتثويته تاريخها. خاصة بعد نجاح العثمانيين في نشر الإسلام في أوروبا الشرقية حيث بلغت فتوحاتهم اسوار فيينا .

عهد السلطان أورخان :

لقد تميزت جهود أورخان وقبلة عثمان بالخطى الوئيدة والحاسمة في توسيع دولته ومد حدودها، ولم ينتبه العالم المسيحي إلى خطورة الدولة العثمانية إلا بعد أن عبروا البحر واستولوا على غاليبولي-وقد فصلنا في هذا في المحاضرة السابقة. **ومن العوامل التي ساعدت السلطان أورخان في تحقيق أهدافه:**

* استفادته من جهود والده عثمان، ووجود الإمكانيات المادية والمعنوية التي ساعدتهم على فتح الأراضي البيزنطية في الأناضول وتدعيم سلطتهم فيها
* كان العثمانيون يتميزون في المواجهة الحربية التي تمت بينهم وبين الشعوب البلقانية بوحدة الصف ووحدة الهدف ووحدة المذهب الديني
* وصول الدولة البيزنطية إلى حالة من الإعياء الشديد، وكان المجتمع البيزنطي قد أصابه تفكك سياسي وانحلال ديني واجتماعي؛ فسهل على العثمانيين ضم أقاليم هذه الدولة.

* ضعف الجبهة المسيحية نتيجة لعدم الثقة بين السلطات الحاكمة في الدولة البيزنطية وبلغاريا وبلاد الصرب والمجر ولذلك تعذر في معظم الأحيان تنسيق الخطط السياسية والعسكرية للوقوف في جبهة واحدة ضد العثمانيين.

*الخلاف الديني بين روما والقسطنطينية أي بين الكاثوليك والأرثوذكسية الذي استحكمت حلقاته وترك آثاراً عميقة الجذور في نفوس الفريقين
*ظهور النظام العسكري الجديد على أسس عقديّة ومنهجية تربوية وأهداف ربانية وأشرف عليه خيرة قادة العثمانيين .

عهد السلطان مراد الأول: (761-791هـ / 1360-1389م)

توسعت الدولة العثمانية في آسيا الصغرى وأوروبا في وقت واحد ففي أوروبا هاجم الجيش العثماني أملاك الدولة البيزنطية ثم استولى على مدينة أدرنه في عام (762هـ / 1360م) وكانت لتلك المدينة أهمية إستراتيجية في البلقان، وكانت ثاني مدينة في الإمبراطورية البيزنطية بعد القسطنطينية واتخذ مراد من هذه المدينة عاصمة للدولة العثمانية منذ عام (768هـ / 1366م، وبذلك انتقلت العاصمة إلى أوروبا، وأصبحت أدرنه عاصمة إسلامية، وكان هدف مراد من هذه النقلة:

- استغلال مناعة استحکامات أدرنه الحربية وقربها من مسرح العمليات الجهادية رغبة مراد في ضم الأقاليم الأوروبية التي وصلوا إليها في جهادهم وثبتوا أقدامهم فيها جمع مراد في هذه العاصمة كل مقومات النهوض بالدولة وأصول الحكم، فتكونت فيها فئات الموظفين وفرق الجيش وطوائف رجال القانون وعلماء الدين، وأقيمت دور المحاكم وشيدت المدارس المدنية والمعاهد العسكرية لتدريب الانكشارية.

واستمرت أدرنه على هذا الوضع السياسي والعسكري والإداري والثقافي والديني حتى فتح العثمانيون القسطنطينية في عام (857هـ - 1453م)، فأصبحت عاصمة لدولتهم .

مضى السلطان مراد في حركة الجهاد والدعوة وفتح الأقاليم في أوروبا، وانطلق جيشه **يفتح مقدونيا**، وكانت لانتصاراته أصداء بعيدة، فتكون تحالف أوروبي بلقاني صليبي باركته الكنيسة، وضم الصربيين والبلغاريين والمجريين، وسكان إقليم والاشيا.

وقد استطاعت الدول الأعضاء في التحالف الصليبي أن تحشد جيشاً بلغ عدده لالاشاهين بقوة تقل عدداً عن القوات ستون ألف جندي تصدى لهم القائد المتحالفة، وقابلهم على مقربة من تشيرمن على نهر مارتيزا، حيث وقعت معركة مروعة وانهزم الجيش المتحالف، وهرب الأميران الصربيان، ولكنهما

غرقا في نهر مارتيزا، ونجا ملك المجر بأعجوبة من الموت أما السلطان مراد فكان في هذه الأثناء مشتغلاً بالقتال في بلاد آسيا الصغرى حيث فتح عدة مدن ثم عاد إلى مقر سلطنته لتنظيم ما فتحه من الأقاليم والبلدان كما هو شأن القائد العثماني الحكيم.

وكان من نتائج انتصار العثمانيين أمور مهمة، منها:
*تم لهم فتح إقليم تراقيا ومقدونيا ووصلوا إلى جنوبي بلغاريا وإلى شرقي صربيا.

*أصبحت مدن وأملاك الدولة البيزنطية وبلغاريا وصربيا تتساقط في أيديهم تباعاً.

*أول معاهدة بين الدولة العثمانية والمسيحية لما اشتد ساعد الدولة العثمانية خاف مجاوروها، خصوصاً الضعفاء منهم، فبادرت جمهورية (راجوزه) وأرسلت إلى السلطان مراد رسلاً ليعقدوا مع السلطان مراد معاهدة ودية وتجارية تعاهدوا فيها بدفع جزية سنوية قدرها 500 دوكا ذهب وهذه أول معاهدة عقدت بين الدولة العثمانية والدول المسيحية.

معركة قوصوه او كوسوفو 1389 :

كان السلطان مراد قد توغل في بلاد البلقان بنفسه وعن طريق قواده؛ مما أثار الصرب، فحاولوا في أكثر من مرة استغلال غياب السلطان عن أوروبا في الهجوم على الجيوش العثمانية في البلقان وما جاورها ولكنهم فشلوا في تحقيق انتصارات تذكر على العثمانيين، فتحالف الصرب والبلغار وأعدوا جيشاً أوروبياً صليبياً كثيفاً لحرب السلطان الذي كان قد وصل بجيوشه بعد إعدادها. إعداداً قوياً إلى منطقة كوسوفا في البلقان ولم يلبث أن نشب القتال بين الجمعيتين وحمي وطيسه واشتدت المعركة وانجلت الحرب عن انتصار المسلمين انتصاراً باهراً حاسماً.

بعد الانتصار في قُوصُوه قام السلطان مراد يتفقد ساحة المعركة ويدور بنفسه بين صفوف القتلى من المسلمين ويدعو لهم، كما كان يتفقد الجرحى، وفي أثناء ذلك قام جندي من الصرب كان قد تظاهر بالموت وأسرع نحو السلطان فتمكن الحارس من القبض عليه.

ولكنه تظاهر بأنه جاء يريد محادثة السلطان ويريد أن يعلن إسلامه على يديه،

وعند ذلك أشار السلطان للحرس بأن يطلقوه فتظاهر بأنه يريد تقبيل يد السلطان وقام في حركة سريعة بإخراج خنجر مسموم طعن به السلطان فاستشهد رحمه الله في 15 شعبان 791هـ.

أما النتائج التي ترتبت على انتصار المسلمين في معركة قوصوه فمنها:

*انتشار الإسلام في منطقة البلقان وتحول عدد كبير من الأشراف القدامى والشيوخ إلى الإسلام بمحض إرادتهم

*اضطرت العديد من الدول الأوروبية إلى أن تطلب ود الدولة العثمانية، فبادرت بعضها بدفع الجزية لهم، وقام البعض الآخر بإعلان ولائه للعثمانيين خشية قوتهم واتقاء غضبهم

*امتدت سلطة العثمانيين على أمراء المجر ورومانيا والمناطق المجاورة للأدریاتيك حتى وصل نفوذهم إلى ألبانيا

عهد بايزيد الاول : (805-791 هـ/1389-1402م)

بعد استشهاد السلطان مراد اهتم ابنه بايزيد الأول اهتماماً كبيراً بالشؤون العسكرية فاستهدف الإمارات المسيحية في الأناضول، وخلال عام أصبحت تابعة للدولة العثمانية. وكان بايزيد كمثل البرق في تحركاته بين الجبهتين البلقانية والأناضولية؛ ولذلك أطلق عليه لقب الصاعقة.

ثم شرع بايزيد في إقامة علاقات ودية مع الصرب مع أنهم كانوا السبب في قيام تحالف بلقاني ضد الدولة العثمانية وكان غرض بايزيد من هذه العلاقة اتخاذ دولة الصرب كحاجز بينه وبين المجر، وكان يشعر بضرورة اتخاذ حليف له في سياسته العسكرية النشطة التي استهدفت الإمارات السلجوقية التركية الإسلامية في آسيا الصغرى؛ ولذلك وافق بايزيد على أن يحكم الصرب ابنا الملك (لازار) الذي قتل في معركة قوصوه وفرض عليهما أن يكونا حاكمين على صربيا، يحكماتها حسب قوانين بلاد الصرب وأعرافها وتقاليدها وعاداتها،

وأن يدينان له بالولاء ويقدمان له جزية وعداداً معيناً من الجنود يشتركون في
فرقة خاصة بهم في حروب

فتح بلغاريا :

بعد أن تم التفاهم مع الصرب وجه بايزيد ضربه خاطفة في عام
(797هـ/1393م) إلى بلغاريا، فاستولى عليها وأخضع سكانها.
وكان لسقوطها في قبضة الدولة العثمانية صدئاً هائلاً في أوروبا وانتشر الرعب
والفرع والخوف أنحاءها وتحركت القوى المسيحية الصليبية للقضاء على
الوجود العثماني في البلقان .

معركة نيقوبوليس: 1396

قام سيجسموند ملك المجر والبابا بونيفاس التاسع بالدعوة لتكتل أوروبي صليبي
مسيحي ضد الدولة العثمانية، وكان ذلك التكتل من أكبر التكتلات التي واجهتها
الدولة العثمانية في القرن الرابع عشر الميلادي من حيث عدد الدول التي
اشتركت فيه، ثم أسهمت فيه بالسلاح والعتاد والأموال والقوات وبلغ العدد
الإجمالي لهذه الحملة الصليبية 120000 مقاتل من مختلف الجنسيات (ألمانيا
وفرنسا إنجلترا واسكتلندا وسويسرا ولوكسمبرج والأراضي المنخفضة الجنوبية
وبعض الإمارات الإيطالية وتحركت الحملة عام (800هـ/1396م) إلى المجر،
(ولكن زعماءها وقادتها اختلفوا مع سيجسموند قبل بدء المعركة .

فقد كان سيجسموند يؤثر الانتظار حتى يبدأ العثمانيون الهجوم، ولكن قواد
الحملة شرعوا بالهجوم، وانحدروا مع نهر الدانوب حتى وصلوا
إلى نيكوبوليس شمال البلقان وبدؤوا في حصارها وتغلبوا في أول الأمر على
القوات العثمانية، إلا أن بايزيد ظهر فجأة ومعه حوالي مئة ألف جندي، وهو عدد
يقل قليلاً عن التكتل الأوروبي الصليبي، ولكنه يتفوق عليهم نظاماً وسلاحاً،
فانهزم معظم النصارى ولاذوا بالفرار والهروب وقتل وأسر عدد من قادتهم و
خرج

العثمانيون من معركة نيكوبوليس بغنائم كثيرة وفيرة واستولوا على ذخائر

العدو. وفي نشوة النصر والظفر قال السلطان بايزيد إنه سيفتح إيطاليا ويطعم حصانه الشعير في مذبح القديس بطرس بروما. واتخذ بايزيد لقب (سلطان الروم) كدليل على وراثته لدولة السلاجقة وسيطرته على كل شبه جزيرة الأناضول.

وبعد الانتصار العظيم الذي حققه العثمانيون في معركة نيكوبوليس ثبت العثمانيون أقدامهم في البلقان، حيث انتشر الخوف والرعب بين الشعوب البلقانية، وخضعت البوسنة وبلغاريا إلى الدولة العثمانية واستمر الجنود العثمانيون يتتبعون فلول النصارى في ارتدادهم. وعاقب السلطان بايزيد حكام شبه جزيرة المورة الذين قدموا مساعدة عسكرية للحلف الصليب.

مما يجدر بنا ذكره ان الفتوحات العثمانية في اوربا توقفت قرابة العشر سنوات بسبب حملة تيمورلينك على الدولة العثمانية عام 1402 مما ادى الى خلو العرش العثماني الى غاية 1413 و نشوب حرب أهلية في الدولة بين أبناء بايزيد على العرش، واستمرت هذه الحرب عشر سنوات (806-816هـ/1403-1413م)

عهد مراد الثاني (824هـ/1421م) :

تولى السلطان مراد الثاني أمر الدولة بعد وفاة أبيه عام (824هـ/1421م)، وكان عمره لا يزيد على ثماني عشرة سنة وكان محباً للجهاد في سبيل الله، والدعوة إلى الإسلام في ربوع أوروبا فأسرع بفتح سلولنيك، فهاجمها ودخلها عنوة في مارس 1431م (833هـ)، وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من الدولة العثمانية وكان السلطان مراد يوجه الضربات الموجعة لحركات التمرد في بلاد البلقان، وحرص على تدعيم الحكم نحو الشمال لإخضاع إقليم ولاشيا وفرض عليه جزية سنوية، واضطر ملك الصرب في تلك الديار، واتجه الجيش الجديد إلى الخضوع للعثمانيين والدخول تحت حكمهم ووجدوا ولاءه للسلطان، واتجه جيش عثماني في بلاد اليونان نحو الجنوب، حيث قام بتوطيد دعائم

فتح البانيا والمجر:

ولم يلبث السلطان أن واصل جهاده الدعوي وقام بالقضاء على العوائق في كل من البانيا والمجر. استطاع العثمانيون أن يفتحوا البانيا عام (1431م/834هـ) وركزوا هجومهم على الجزء الجنوبي من البلاد. أما شمالي البانيا، فقد خاض العثمانيون فيه جهاداً مريراً، وتمكن الألبانيون الشماليون من القضاء على جيشين عثمانيين في جبال البانيا، كما ألحقوا الهزيمة بحملتين عثمانيتين متعاقبتين كان يقودهم السلطان مراد بنفسه، وتكبد العثمانيون خسائر فادحة أثناء عملية الانسحاب، ووقفت الدول النصرانية خلف الألبان لدعمهم ضد العثمانيين وخصوصاً من حكومة البندقية التي كانت تدرك خطورة الفتح العثماني وهكذا لم يشهد السلطان مراد الثاني استقراراً للحكم في البانيا. ثم تقدم لفتح بلغراد عاصمة الصرب، ولكنه أخفق في محاولته واضطر العثمانيون إلى طلب الصلح وأبرمت معاهدة صلح لمدة عشر سنوات.

عهد محمد الفاتح:

فتح بلاد مورة (جنوب اليونان):

تمكن السلطان محمد الفاتح من فتح بلاد مورة عام 863هـ، وتمكن أيضاً من فتح معظم الجزر في بحر إيجه.

فتح بلاد الأفلاق (جزء من رومانيا الحالية):

وصل للسلطان محمد الفاتح تعدى أمير الأفلاق على بعض التجار العثمانيين النازلين ببلاده، فجهز السلطان محمد الفاتح جيشاً لمحاربتة، فطلب الأمير الصلح مقابل جزية سنوية قدرها 10.000 درهم ولكن اتضح أن أمير الأفلاق لم يطلب ذلك إلا ليتحد مع أمير المجر لمحاربة العثمانيين، فبعث إليه السلطان برسولين ليستفسرا عن ذلك، فقتل الرسولين.

ولم يكتف بذلك بل أغار على بلاد البلغار التابعة للدولة العثمانية، فأعمل فيها القتل والسلب وعاد إلى بلاده ومعه 25.000 أسير، فأرسل له السلطان يدعوه إلى

إعادة الأسرى والطاعة للدولة العثمانية، فأمر الرسل برفع عمائمهم لتعظيمه، فأبى رسل السلطان فأمر الأمير بتثبيت العمائم على رؤوسهم بمسامير من حديد، وعلم السلطان بما حدث فجمع 150.000 مقاتل وسار قاصداً بلاد الأفلاق، فهزم أميرها الذي فر إلى بلاد المجر بعد أن مثل بالأسرى المسلمين شر تمثيل، وامتألت ضواحي بخارست عاصمة الأفلاق بجثثهم، وبذلك أصبحت الأفلاق ولاية عثمانية.

فتح بلاد البوسنة :

امتتع أمير البوسنة عن دفع الجزية، فجهز السلطان محمد الفاتح جيشاً لفتح البوسنة، فسار إليها وفتحها عام 866هـ وحاول ملك المجر ماتياس نزع البوسنة من أيدي العثمانيين، ولكنه فشل وما إن تم فتح البوسنة وجعلها ولاية عثمانية إلا ودخل أهلها وأشرفها في دين الله أفواجاً، وانضم للجيش من أهلها 30.000 شاب.

إسكندر بك يعود إلى الظهور:

دعا البابا لحرب صليبية على العثمانيين بعد أن تمكنوا من فتح الكثير من بلاد أوروبا وسقوط القسطنطينية، غير أن البابا قد مات ولم تقم الحرب الصليبية، وكان إسكندر بك ممن شجعهم البابا على حرب العثمانيين، فلم ينتظر قيام حرب صليبية وقام بشن هجوم على العثمانيين، وكانت الحروب بين الطرفين سجالاً حتى توفي إسكندر بك سنة 871هـ، واستطاع بعدها السلطان محمد الفاتح أن يخضع الأرناؤوط (ألبانيا) لسلطة الدولة العثمانية.

سيطرة العثمانيين على القرم والفشل في فتح بلاد البغدان:

عرض السلطان في عام 878هـ على أمير البغدان أصطفان الرابع دفع الجزية، فرفض فسار إليه الجيش العثماني وانتصر عليه، لكنه لم يستطع فتح الإقليم، ففكر السلطان في دخول شبه جزيرة القرم والاستفادة من فرسانها في فتح البغدان، واستطاع السلطان أن يطرد الجنوبيين من مواقع كانوا يحتلونها في شبه جزيرة القرم، واتفق السلطان مع سكان شبه جزيرة القرم من التتر المسلمين على دفع خراج سنوي، ثم اتجه الأسطول العثماني من شبه جزيرة القرم إلى مصب نهر الدانوب، فدخل بلاد البغدان وفر من أمامه الجيش البغداني، ليستدرجوه إلى غابة كثيفة ثم انقضوا عليه وهزموه عام 881هـ؛ ولذلك اشتهر أصطفان الرابع بمحاربة العثمانيين وسماه البابا بشجاع النصرانية وحامي الديانة المسيحية.

فتح البندقية:

أغار السلطان على بلاد البنادقة عام 882هـ واستطاع فتح بلاد كرواتيا ودلماسيا (الجبل الأسود وجزء من ألبانيا وجزء من كرواتيا)، ثم فتح مدينة اشقودرة فلجأ البنادقة إلى إبرام الصلح معه عام 887هـ.

محاولة فتح إيطاليا:

لم يغب عن ذهن السلطان محمد فتح إيطاليا ورفع لواء الإسلام على رومية بعد أن فتح القسطنطينية، يحركه في ذلك يقينه بالله وبشارة الرسول r بفتح رومية، حتى إنه أقسم بأن يربط حصانه في كنيسة القديس بطرس (الفاتيكان).

ورأى أن يمهد لذلك بأن يفتح جزيرة رودس التي يسيطر عليها فرسان القديس يوحنا، ولكن الأسطول العثماني فشل في فتحها وأبرم صلحاً معهم عام 885هـ، ثم عاد فاتجه لفتح إيطاليا، فنزل الجيش العثماني بسواحل إيطاليا واستطاع فتح مدينة أوترانت عام 885هـ، وفي العام الذي تلاه اشتغل بإعداد حملة عظيمة لإتمام فتح إيطاليا، ولكن وافته المنية وعندما توفي انصرف العثمانيون عن هذه الجهة، وأخلى خَلْفَه بايزيد الذي اشتهر بميله إلى السلم مدينة أوترانت من الجيش العثماني.

عنوان

المحاضرة:

فتح

القسطنطينية

مدينة القسطنطينية:

تقع عند خط إنقواء القارتين آسيا وأوروبا، ويحيط بها البحر الأسود من الشمال، ومضيق البسفور من الشرق، وبحر مرمرة من الجنوب، وهذا الذي جعلها مطمعا للعديد من الغزاة. عُرفت باسم بيزنطة، وظلت مشهورة فيه حتى عام (330 ميلادي) عندما اتخذها الإمبراطور قسطنطين الأكبر عاصمة لبلاده، وقام بترميمها وافتتاحها وإطلاق اسم

"روما الجديدة" عليها، ولكنّ الشعب أطلقوا عليها اسم القسطنطينية وفتحها بشر به النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم في قوله عليه الصلاة والسلام: "لنُفْتَحَنَّ القسطنطينية، فَنِعَمَ الأمير أميرها، ونِعَمَ الجيش ذلك الجيش". وهذا مما زاد حُكَّام وقادة المسلمين حماساً في تكثيف الحملات العسكرية لحصار المدينة ودخولها فاتحين .

نبذة عن السلطان الغازي محمد الفاتح (855 هـ - 886 هـ)

يحتل السلطان محمد الفاتح (محمد الثاني) عند أغلب المسلمين الشهرة الأولى في الدولة العثمانية، وذلك لعكوف مؤرخي أوروبا على تشويه تاريخ الدولة العثمانية، وللأسف الشديد تأثر كثير من المسلمين بهم حتى باتوا لا يعرفون عن إيجابياتها شيئاً غير فتح القسطنطينية، ولا يعرفون من حكامها إلا محمد الفاتح

هو محمد بن مراد الثاني ولد في أدرنه عام 1481م، ويعتبر السلطان العثماني السابع في سلسلة آل عثمان يلقب بالفاتح وأبي الخيرات. حكم ما يقرب من ثلاثين عاماً كانت خيراً وعزة للمسلمين. تولى حكم الدولة العثمانية بعد وفاة والده بتاريخ 18 فبراير عام 1451م وكان عمره آنذاك 22 سنة ولقد امتاز السلطان محمد الفاتح بشخصية فذة جمعت بين القوة والعدل كما أنه فاق أقرانه منذ حداثة في كثير من العلوم التي كان يتلقاها في مدرسة الأمراء وخاصة معرفته لكثير من لغات عصره وميله الشديد لدراسة التاريخ، مما ساعده فيما بعد على إبراز شخصيته في الإدارة وميادين القتال حتى أنه اشتهر أخيراً في التاريخ بلقب محمد الفاتح، لفتحه القسطنطينية.

انتهج محمد الفاتح المنهج الذي سار عليه أجداده في الفتوحات، ولقد برز بعد توليه السلطة بقيامه بإعادة تنظيم إدارات الدولة المختلفة، واهتم كثيراً بالأمور المالية فعمل على تحديد موارد الدولة وطرق الصرف منها بشكل يمنع الإسراف والبذخ أو الترف. وكذلك ركز على تطوير كتائب الجيش وأعاد تنظيمها ووضع سجلات خاصة بالجند، وزاد من مرتباتهم وأمدهم بأحدث الأسلحة المتوفرة في ذلك العصر. وعمل على تطوير إدارة الأقاليم وأقر بعض الولاة السابقين في أقاليمهم وعزل من ظهر منه تقصيراً أو إهمال وطور البلاط السلطاني وأمدهم بالخبرات الإدارية

والعسكرية الجيدة مما ساهم في استقرار الدولة والتقدم إلى الإمام وبعد أن قطع أشواطاً مثمرة في الإصلاح الداخلي تطلع إلى المناطق المسيحية في أوروبا لفتحها ونشر الإسلام فيها، ولقد ساعدته عوامل عدة في تحقيق أهدافه، منها الضعف الذي وصلت إليه الإمبراطورية البيزنطية بسبب المنازعات مع الدول الأوروبية الأخرى، وكذلك بسبب الخلافات الداخلية التي عمت جميع مناطقها ومدنها ولم يكتف السلطان محمد بذلك بل إنه عمل بجد من أجل أن يتوج انتصاراته بفتح القسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية، والمعقل الاستراتيجي الهام للتحركات الغربية الصليبية ضد العالم الإسلامي لفترة طويلة من الزمن.

استعدادات السلطان الفاتح :

شجع العلماء الربانيون مثل أحمد بن إسماعيل الكوراني "معلم الفاتح"، وآق شمس الدين "الملهم الروحي للفتح" في تشجيع السلطان على مضاعفة حركة الجهاد، والإيحاء له بأنه الأمير المقصود بحديث النبي الكريم. ومن بداية تسلمه للسلطنة، قام السلطان محمد الفاتح بإعداد جيش كبير بلغ حوالي مئتين وخمسين ألف مقاتل، وشرع بتجهيز الحصون والقلاع على أطراف القسطنطينية، ولم تغلح محاولات الامبراطور البيزنطي في ثنيه بالأموال ومعاهدات الصلح، وقام الفاتح ببناء قلعة روملي حصار على البوسفور من الطرف الأوروبي مقابل قلعة عثمانية شيدت على البر الآسيوي زمن السلطان بايزيد الثاني.

كذلك اعتنى محمد الفاتح بجمع الأسلحة اللازمة لك حصون المدينة، واعتمد على مهندسين لتطوير صناعة المدافع المتطورة. ومن هؤلاء اعتماده على مهندس مجري اسمه أوربان. كما طور الأسطول العثماني وزاد في تسليحه حتى وصل لقرابة أربعمئة سفينة حربية ليكون مؤهلاً للقيام بدوره في الهجوم على القسطنطينية. من ناحية أخرى وقع السلطان الفاتح قبيل هجومه على القسطنطينية معاهدات وهدن مع أعدائه المختلفين ليتفرغ لعدو واحد، فعقد معاهدة مع إمارة (غلطة) المجاورة للقسطنطينية من الشرق ويفصل بينهما مضيق القرن الذهبي، كما عقد معاهدات مع (المجد) و(البندقية) وهما من الإمارات الأوروبية المجاورة، ولكن هذه المعاهدات لم تصمد حينما بدأ الهجوم الفعلي على القسطنطينية.

الهجوم على القسطنطينية وفتحها:

كان القسطنطينية محاطة بالمياه البحرية في ثلاث جهات، مضيق البسفور، وبحر مرمرة، والقرن الذهبي الذي كان محمياً بسلسلة ضخمة جداً تتحكم في دخول السفن إليه، بالإضافة الى ذلك فإن خطين من الأسوار كانت تحيط بها من الناحية البرية من شاطئ بحر مرمرة إلى القرن الذهبي، يتخللها نهر ليكوس، وكان بين السورين فضاء يبلغ عرضه 60 قدماً ويرتفع السور الداخلي منها 40 قدماً وعليه أبراج يصل ارتفاعها إلى 60 قدماً، وأما السور الخارجي فيبلغ ارتفاعه قرابة خمسة وعشرين قدماً وعليه أبراج موزعة مليئة بالجند، وبالتالي فإن المدينة من الناحية العسكرية تعد من أفضل مدن العالم تحصيناً، لما عليها من الأسوار والقلاع والحصون إضافة إلى التحصينات الطبيعية، وبالتالي فإنه يصعب اختراقها، ولذلك فقد استعصت على عشرات المحاولات العسكرية لاقتحامها ومنها إحدى عشرة محاولة إسلامية سابقة كان السلطان الفاتح يكمل استعدادات القسطنطينية ويعرف أخبارها ويجهز الخرائط اللازمة لحصارها، كما كان يقوم بنفسه بزيارات استطلاعية يشاهد فيها استحکامات القسطنطينية وأسوارها، وقد عمل السلطان على تمهيد الطريق بين أدرنه والقسطنطينية لكي تكون صالحة لجر المدافع العملاقة خلالها الى القسطنطينية، وقد تحركت المدافع من أدرنه الى قرب القسطنطينية، في مدة شهرين حيث تمت حمايتها بقسم الجيش حتى وصلت الأجناد العثمانية يقودها الفاتح بنفسه إلى مشارف القسطنطينية في يوم الخميس 26 ربيع الأول 857هـ الموافق 6 أبريل 1453م.

وحاول البيزنطيون أن يبذلوا قصارى جهدهم للدفاع عن القسطنطينية ووزعوا الجنود على الأسوار، وأحكموا التحصينات وأحكم الجيش العثماني قبضته على المدينة. وبرزت عبقرية الفاتح أثناء الحصار، حيث لاحت للسلطان فكرة بارعة وهي نقل السفن من مرساها في بشكطاش إلى القرن الذهبي، وذلك بجرها على الطريق البري الواقع بين الميناءين مبتعداً عن حي غلطة خوفاً على سفنه من الجنوبيين، وقد كانت المسافة بين الميناء نحو ثلاثة أميال، ولم تكن أرضاً مبسوطة سهلة ولكنها كانت وهادئاً وتلالاً غير ممهدة. لقد جُرت السفن من البوسفور البر حيث سحبت على تلك الأخشاب المدهونة بالزيت مسافة ثلاثة أميال، حتى وصلت إلى نقطة آمنة فأنزلت في القرن الذهبي، وتمكن العثمانيون في تلك الليلة من سحب

أكثر من سبعين سفينة وإنزالها في القرن الذهبي على حين غفلة من العدو، بطريقة لم يسبق إليها السلطان الفاتح قبل ذلك، وقد كان يشرف بنفسه على العملية التي جرت في الليل بعيداً عن أنظار العدو ومراقبته.

ان هذا العمل عظيمًا بالنسبة للعصر الذي حدث فيه بل معجزة من المعجزات، تجلى فيه سرعة التفكير وسرعة التنفيذ، مما يدل على عقلية العثمانيين الممتازة، ومهارتهم الفائقة وهمتهم العظيمة. لقد دهش الروم دهشة كبرى عندما علموا بها، فما كان أحد ليستطيع تصديق ما تم. لكن الواقع المشاهد جعلهم يذعنون لهذه الخطة الباهرة. ولقد كان منظر هذه السفن بأشرعتها المرفوعة تسير وسط الحقول كما لو كانت تمخر عباب البحر من أعجب المناظر وأكثرها إثارة ودهشة. ويرجع الفضل في ذلك إلى الله سبحانه وتعالى ثم الهمة السلطان وذكاءه المفرط، وعقليته الجبارة، وإلى مقدرة المهندسين العثمانيين، وتوفير الأيدي العاملة التي قامت بتنفيذ ذلك المشروع الضخم بحماس ونشاط. ظهر اليأس في أهل القسطنطينية وكثرت الإشاعات والتنبؤات بينهم، وانتشرت شائعة تقول: ستسقط القسطنطينية عندما ترى سفن تمخر الياينة" وكان لوجود السفن الإسلامية في القرن الذهبي دور كبير في إضعاف الروح المعنوية لدى المدافعين عن المدينة الذين اضطروا لسحب قوات كبيرة من المدافعين عن الأسوار الأخرى لكي يتولوا الدفاع عن الأسوار الواقعة على القرن الذهبي إذ أنها كانت أضعف الأسوار، ولكنها في السابق تحميها المياه، مما أوقع الخلل في الدفاع عن الأسوار الأخرى.

حدث هذا الفتح دويًا كبيراً في عالم العصور الوسطى. فقد جاء إيذاناً بما يمكن تسميته – تجاوزاً – نشوء نظام عالمي جديد، بعدما نجح العثمانيون في القضاء تماماً على بيزنطة إحدى أهم القوى المؤثرة في العصور الوسطى لأكثر من احد عشر قرناً.

نتائج فتح القسطنطينية:

خلف فتح القسطنطينية جملة من النتائج نجملها في مايلي :

* تمكن العثمانيون من السيطرة على ضفتي مضيق البوسفور، والربط بين الأراضي العثمانية في آسيا الصغرى والقارة الأوروبية. وهو ما أدى إلى تحسين وضعهم الجيوبوليتيكي بشكل واضح، و سيطرتهم الكاملة على طرق التجارة بالبحر الأسود.

* تنامي القوة البحرية العثمانية. حيث بدأ الاهتمام ببناء الأساطيل لمساعدة القوات البرية في مرحلة الفتوحات الجديدة، خاصة بعد أن لوحظ عدم كفاءة الأسطول العثماني إبان المعارك البحرية مع الأسطول البيزنطي قبيل فتح القسطنطينية.

* زيادة الأساطيل البحرية العثمانية في مياه البحر المتوسط، الأمر الذي أثار خشية دول غرب أوروبا، خاصة البرتغال وإسبانيا على سفنها وتجارها. وهو ما دفعها إلى محاولة البحث بشكل جدي عن طرق بحرية وملاحية جديدة، دون المرور بالمياه التي تخضع للسيادة الإسلامية. وبدأت آنذاك حركة الكشف الجغرافية الأوروبية، عبر المرور خلف أفريقيا الغربية والجنوبية.

* كما هدف السلطان الفاتح إلى استقرار السكان البيزنطيين في المدينة، ووافق على أن يظل السكان تحت رعاية مذهبهم الأرثوذكسي، فأمر بالإفراج عن البطريرك البيزنطي لكنيسة القسطنطينية الأرثوذكسية، وأعاد تنصيبه تحت اسم جيناديوس في العام 1454م Ginnadius.

* تكريس مبدأ الانفصال التام بين كنيسة القسطنطينية، وكنيسة روما إلى الأبد، الذي جعل السكان الأرثوذكس ينظرون إلي الفاتح انه حامي الأرثوذكسية الشرقية، بعد أن تمتعوا بحرية العبادة وفق مذهبهم ودون خوف من هاجس الاتحاد الكنسي. وفي ما بعد آلت الأرثوذكسية إلى كنيسة موسكو في روسيا. حيث رفضت الكنيسة الروسية فكرة وحدة الكنائس وقرارات مجمع فلورنسا 1439م.

* توحيد الإمبراطورية العثمانية في اسيا وأوروبا.

* سقوط الحاجز بين الحضارتين الإسلامية والأوروبية.

* أصبح للإمبراطورية العثمانية مركز تجاري من أعظم مراكز التجارة في العالم.

* استقرار الإسلام وانتشاره في أوروبا.

* أصبح الإسلام أحد أهم محركات السياسة العالمية من جديد، وبات للمسلمين دوراً أساسياً في شتى الأحداث العالمية.

* تحوّل الملايين من سكان جنوبي شرقي أوروبا إلى الإسلام.

*بدء عصر النهضة العلمية الحديثة.

*دراسة بعض الحكومات الاوربية فنون القتال العثمانية من نظام الإنكشارية وقوات المشاة الخفيفة

عنوان المحاضرة

: التوسع العثماني

في المشرق

العربي

المقدمة:

ارتبط اسم السلطان العثماني سليم الأول في التاريخ بمسألة التحول في سياسة ال

دولة العثمانية تجاه الفتوحات؛ حيث اتجه العثمانيون في الدور الأول من دولتهم إلى الميدان الأوروبي، وحققوا فيه انتصارات مذهلة، توجهها **السلطان محمد الفاتح** سنة (857هـ = 1453م) بفتح القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية ودرتها المتلائة التي ظلت حلما راود الخلفاء المسلمين منذ بداية العصر الأموي، واتخذها عاصمة للدولة، ثم اتجه العثمانيون بفتوحاتهم نحو الشرق، وكان هذا هو نقطة التحول في سياستهم، وشاءت الأقدار أن تشهد فترة ولاية سليم الأول هذا التحول، الذي كان من أثره أن امتدت رقعة الدولة العثمانية، وأصبحت دولة آسيوية أوروبية أفريقية.

عهد السلطان سليم الأول (1512م-1520م):

تولى سليم الأول عرش الدولة العثمانية في (8 من صفر 918هـ = 25 من إبريل 1512م) خلفا لأبيه بايزيد الثاني الذي تنازل له عن السلطة، وكان أول عمل قام به السلطان الجديد قيامه بالقضاء على الفتن الداخلية التي أثارها إخوته ضده تطلعا للحكم، وبعد ذلك كان في انتظاره أمران، كان لهما الأثر البالغ في توجيه السياسة العثمانية.

أما الأمر الأول فهو ازدياد الخطر الشيعي في إيران والعراق، وتهديد الدولة الصفوية الشيعية للدولة العثمانية.

وأما الأمر الآخر فهو تصاعد الخطر البرتغالي في الخليج العربي، وتهديدهم للأراضي المقدسة.

الصراع العثماني الصفوي:

ظهر إسماعيل الصفوي في مطلع القرن العاشر الهجري، ونجح في إقامة دولة شيعية في إيران سنة (907هـ = 1502م) وأعلن نفسه ملكا، وأصدر السكة باسمه، وجعل المذهب الشيعي هو المذهب الرسمي لإيران بعد أن كانت تتبع المذهب السني، وبدأ يتطلع إلى توسيع مساحة دولته، فاستولى على العراق، وأرسل دعواته لنشر المذهب الشيعي في الأناضول، مما أثار حفيظة الدولة العثمانية المجاورة لها، وبدأت المناوشات العسكرية بينهما في أواخر عهد السلطان بايزيد خان، ثم تحولت إلى صدام هائل بين الدولتين في عهد سليم الأول. **معركة جالديران-**

أعلن سليم الأول الحرب على الصفويين، وسار بجيشه من أدرنة متجها إلى تبريز في (22 من المحرم 902هـ = 14 مارس 1514م) فتقهقرت الجيوش

الفارسية أمامه بقصد إنهاك قواه حتى تسنح لها الفرصة للانقضاض عليه، والتقى الجيشان في وادي جالديران في (2 من رجب 920 هـ = 24 أغسطس 1514م) وكانت معركة هائلة حسمت فيها المدفعية العثمانية النصر للسلطان سليم الأول، وفر الشاه إسماعيل الصفوي، وتمزق جيشه، ودخل السلطان سليم تبريز حاضرة الصفويين، يحمل على رأسه أكاليل النصر في الرابع عشر من رجب، وأثمر هذا النصر عن ضم السلطان سليم كثيراً من بلاد أرمينية الغربية، وما بين النهرين، وتبليس، وديار بكر، والرقه والموصل، ثم عاد إلى بلاده ليعد العدة لصراع الجديد ضد أقاليم الشرق العربي.

الضم العثماني للشام و مصر :

في الحقيقة يرتبط فتح مصر ارتباطاً وثيقاً بفتح الشام وذلك لأن مصر والشام كانت خاضعة للدولة المملوكية، وعندما أراد العثمانيون ضم مصر والشام كان عليهم إخضاع الدولة المملوكية إليهم، فكانت شرارة الحرب بين العثمانيين والمماليك، وبالفعل اشتعلت الحرب بين العثمانيين والمماليك فزحف السلطان سليم على الشام، ونجح في كسب بعض أعوان الغوري {الوالي المملوكي للشام} مثل خاير بك نائب السلطان في حلب وجان بردي الغزالي نائبه في حماه وبعد توافق العثمانيين مع بعض أعوان الغوري واستعمال الجيش العثماني للمدفعية الثقيلة انهزمت القوات المملوكية في **مرج دابق 1516م** وفيها قتل قنصوه الغوري.

وبعد ذلك دخل سليم حلب وقرر الزحف إلى مصر، وأخذت بقية مدن الشام تسقط تباعاً في يده متجهاً صوب مصر

وفي مصر أنزل السلطان سليم الهزيمة بالسلطان المملوكي الجديد طومان باي عند **الريدانية** في صحراء العباسية في **23 كانون الثاني/يناير 1517م**، ودخل العثمانيون القاهرة، وخطب السلطان سليم في مساجدها، وبعد دخول القاهرة أبدى طومان باي ومن التف حوله من المماليك والعرب وأفراد الشعب مقاومة للعثمانيين سواء في القاهرة ذاتها، أو في الصعيد، ومع ذلك كان النصر في النهاية حليف العثمانيين وقبض على طومان باي. وكان سليم معجباً به وبشجاعته لدرجة أنه فكر في الإبقاء على حياته لولا أن خاير بك وجان بردي الغزالي أثارا مخاوفه من احتمال قيام طومان باي بثورة في مصر تؤدي إلى طرد العثمانيين فأعدم شنقاً على **باب زويلة في 23 نيسان/أبريل 1517م**، وبذلك أصبحت الشام ومصر من

الممتلكات العثمانية وعين سليم جان بردي الغزالي والياً على الشام وخاير بك والياً على مصر فكان ثاني والي من قبل العثمانيين إذ وليها قبله ولفترة قصيرة يونس باشا العثماني

الحجاز عثمانية:

وفي أثناء إمامة السلطان سليم الأول استقبل وفدا من أعيان الحجاز بعث به الشريف بركات أمير مكة المكرمة، وكان على رأس هذا الوفد ابنه أبوغي حاملا رسالة من والده، يعلن فيها قبوله أن تكون الحجاز تحت السيادة العثمانية، وأعطاه مفاتيح الكعبة المشرفة، وبعض الآثار النبوية الشريفة كالعلم النبوي، وقوس وسهم، وشعيرات من لحيته صلى الله عليه وسلم، كما دخلت بعض مناطق اليمن تحت السيادة العثمانية.

ترتب على دخول الأقاليم الإسلامية الأربعة وهي مصر والشام والحجاز وبعض مناطق اليمن تحت الحكم العثماني أن أصبح البحر الأحمر بحيرة عثمانية، وتدعم الوجود الإسلامي فيه، وتم إيقاف محاولات البرتغاليين للسيطرة عليه، وساد الأمن والأمان على مياهه حيث أغلقت مياهه في وجه السفن المسيحية، وأجبرتها الدول العثمانية على تفرغ شحناتها في ثغر المخا في اليمن، ثم يعاد شحنها على سفن إسلامية يعمل عليها قباطنة وبحارة مسلمون وتمخر بها عباب البحر الأحمر، وتتوقف على ثغوره وموانيه حتى السويس شمالا.

سليم خادم للحرمين:

ترتب أيضا على فتوحات سليم الأول أن أصبحت الدولة العثمانية تضم الأماكن المقدسة في الحجاز، متمثلة في المسجد الحرام حيث الكعبة المشرفة، والمسجد النبوي الشريف مثنى النبي (صلى الله عليه وسلم) بالإضافة إلى المسجد الأقصى في فلسطين، أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى الرسول (صلى الله عليه وسلم).

وقد أضفى كل هذا على الدولة العثمانية زعامة دينية، وأضيف إلى ألقاب السلطان العثماني سليم الأول لقب "حامي الحرمين الشريفين أو خادم الحرمين الشريفين"، وصار لقباً لكل من جاء بعده من الخلفاء.

